الشرق الأوسط
جريدة العرب الدولية

الاثنين ٢١ شعبان ١٤٢٦ هـ ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٥ العدد ٩٧٩٩

مأمون فندي

أول الغيث «قطَر» وضربة في مقتل

وضع العربة أمام الحصان، وانقلاب على كل مرجعيات السلام المضمونة دوليا، وتفخيخ لمبادرة السلام العربية، هذا هو فحوى دعوة وزير خارجية قطر الشيخ حمد بن جاسم عندما دعا العرب من منبر مجلس العلاقات الخارجية في نيويورك للجلوس مع اسرائيل في مؤتمر جديد. المهم هنا ما وراء هذه الدعوة، هل هي دعوة ساذجة لمنح اسرائيل تطمينات أم انها رؤية استراتيجية تهدف الى تقويض المبادرة العربية التي تقدم بها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، وحظيت بموافقة كل العرب في بيروت عام ٢٠٠٣؟ تلك المبادرة التي دعت الى انسحاب اسرائيلي كامل مقابل علاقات اسرائيلية عربية كاملة، والتي أكد عليها ولي العهد السعودي الامير سلطان بن عبد العزيز في كلمته أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة أخيرا، أم ان دعوة الوزير جاءت نتيجة لرغبة قطر في ترميم العلاقات القطرية الأميركية المتأزمة عن طريق البوابة الاسرائيلية؟!

دعوة الوزير بدت وكأنها تكتيك وقتي وليست استراتيجية عمل نحو السلام، فمرجعيات السلام معروفة متمثلة في مؤتمر مدريد، والذي تبنى قرارات الشرعية الدولية المتمثلة في قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨، متمثلة ايضا في رؤية مدريد القائلة بـ«الأرض مقابل السلام»، هكذا قال دبلوماسي أميركي سابق قريب جدا من ملف المفاوضات العربية الاسرائيلية، والأميركية الاسرائيلية، ما قاله وزير خارجية قطر يعد انقلابا على هذه الشرعية، اذ ان اي اجتماع بين العرب والاسرائيليين هو انصياع ليس لدعوة شارون والليكود، وانما لدعوة اليمين المتطرف المتمثل في بنجامين نتنياهو وجماعته الرافضين للدولة الفلسطينية، نتنياهو وجماعته هم من كانوا يدعون الى التخلي عن مدريد وعن أوسلو وعن خريطة الطريق، ويدعون الى مفاوضات مباشرة مع اطراف الصراع، يدعون ايضا الى عقد مؤتمر بين العرب واسرائيل، يهدف الى الغاء شرعية مؤتمر مدريد، فهل دعوة الوزير القطري تصب في تحسب قطر لفوز نتنياهو بقيادة الليكود، وبالتالي يكسبون رضاه بتصريح استباقي مثل تصريح الوزير؟

دعونا نقولها وبصراحة، هل وصلت الخلافات السعودية القطرية الى حد ضرب كل مبادرة الملك عبد الله عن طريق تصريح قطري يعطي اسرائيل كل شيء دونما مقابل، ترى من ينصح الوزير القطري في السياسة؟ هل له مستشارون سياسيون يرون مجمل الصورة، أم اننا نتعامل مع عقلية البقالة والبيع بالقطعة، أو كما يقول المصريون «اللي تكسب به العب به»؟!

الوزير يعتبر أن قطر لاعب أساسي في الصراع العربي الاسرائيلي، ومهما كانت ثروة قطر فهناك في علم السياسة ما يسمى بحدود القوة ((Limits of Power، قطر في النهاية دولة صغيرة، ربما ذات امكانات مالية كبيرة، ولكنها تظل في جيوبوليتيك المنطقة دولة صغيرة محدودة التأثير، فهي لم تكن لاعبا أساسيا ولا حتى احتياطيا في مسألة الحرب والسلام في الصراع العربي الاسرائيلي، قطر انتقدت زيارة الرئيس السادات الى القدس وعنفته، ولو كان لقطر وزن يذكر ما جاء رد السادات يومها قاسيا عندما قال «مش كل من عمل له كشك على الخليج يفتكر انه عنده دولة»، لو عاش السادات لهذا اليوم لما رأى «كشكا»، وانما كان سيرى كشكاً وقهوة وتلفزيوناً.

من حق الشيخ حمد ودولته ان تكون لهما علاقات خاصة مع اسرائيل، وان يطبعا كيفما شاءا، ذلك لأن قطر دولة مستقلة ذات سيادة، اما ما ليس من حق الوزير هو إحراج العرب الآخرين بوضع العربة أمام الحصان، وتعلية سقف ما يمكن ان يمنحه العرب لإسرائيل.

بعد تصريح الشيخ حمد تبدو المبادرة العربية التي تنادي بانسحاب كامل مقابل تطبيع كامل والتي اتفق عليها في بيروت عام ٢٠٠٣ خالية من المعنى وأقل من المطلوب، كذلك بعد تصريح الوزير ليس هناك أهمية لخريطة الطريق، أو لمؤتمر مدريد، المطلوب الآن حسب الرؤية القطرية هو التفاوض وجها لوجه ودونما شروط مسبقة وهذه هي رؤية نتنياهو ايضا.

الوزير القطري الذي دعا الى مؤتمر يجمع الاسرائيليين والعرب تحت رعاية أميركية لم يحرج العرب فقط، وانما أحرج الأميركان ايضا.

فهذا دبلوماسي اميركي يقول «بعد هذا التصريح سيكون صعبا علينا إقناع اسرائيل بالالتزام بالمرجعية الدولية وخطوط ما قبل حرب ٦٧ على الاقل فيما يخص القضية الفلسطينية واقامة الدولة». واضاف «سيرد علينا الاسرائيليون بألا تكونوا ملكيين أكثر من الملك»، وبالفعل عندما تتخلى دولة عربية عن الشرعية الدولية، فلن يكون بمقدور الاميركان التمسك بها حتى لا يكونوا عربا أكثر من العرب.

والواضح ان التصريحات القطرية اراد منها وزير الخارجية القطري ان تخدم اميركا، الا ان الاميركيين انفسهم يقولونها صريحة بأن مثل هذه التصريحات لا تخدم المصلحة الاميركية في المنطقة.

تصريح الوزير القطري، بقصد أو بدون قصد، ضرب المبادرة العربية في مقتل، لم يجهز عليها بعد، ولكنها تترنح.

الوزير القطري ايضا أحرج صحفه وقنواته الاعلامية في قطر وفي لندن وفي القاهرة، تلك الصحف التي تزايد على كل العرب بأنها رافضة للتطبيع لدرجة كبيرة جدا.

فكيف يطبع «المعلم» ويرفض «صبيانه» التطبيع؟ الصبيان الآن في ورطة حقيقية، فليس لديهم سوى خيارين اما ان يغيروا من لهجتهم الاعلامية ويتبنوا التطبيع او يرفضوا اموال الشيخ ويتمسكوا بمبادئهم الرافضة للتطبيع.

حتى لا أفهم خطأ، انا شخصيا مع السلام ومع التطبيع مع الدول الطبيعية، اسرائيل حتى الآن وباحتلالها للاراضي العربية ليست دولة طبيعية، فليمنح القطريون اسرائيل تطبيعاً بعد ان تعود الى حدود ٦٧ وتصبح اسرائيل دولة طبيعية، هذا هو شرط المبادرة العربية في بيروت، على اسرائيل ان تحدد حدودها بوضوح وتقول لنا ما لها وما عليها، اي ان تصبح دولة طبيعية، ثم بعد ذلك نطبع معها.

الموقف العربي يبدو متدهورا، لاهثا ومهرولا، ويبدو ان سياسة الهرولة مستمرة، و«أول الغيث قطَر».